مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٦) العدد (٢) ٢٠٢٢
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٦) No. (٢) 2022

الزّمن في الرّواية السّورية المعاصرة « كوليت خوري– غادة السّمّان– أنيسة عبّود» أنموذجاً

د. فاروق إبراهيم مغربي*

باسمة رياض العلي * *

(تاريخ الإيداع ١٢/١٦ /٢٠٢١. قُبِل للنشر في ٢/٢٨ /٢٠٢٢)

□ ملخّص □

يمثّل الزّمن عنصراً أساسياً في بناء الرواية، فلا يمكن لنا تصوّر حدث روائي خارج الزّمن؛ لأنه يؤثّر في العناصر الأخرى، وينعكس عليها، ومن خلال الزمن يحاول الرّوائي إيهامنا بواقعية ما يرويه من أحداث وعلاقات روائية، لذلك نجد الرّوائيين السّوريين المعاصرين قد أشاروا إلى الزّمن من خلال رواياتهم.

و يخلص البحث إلى أنّ الزّمن النّفسي يتجسّد في كلّ ما يتعلّق بالشخصية بتداعياتها وذكرياتها وحوارها الداخلي وتيارات وعيها، وما من مقاييس ثابتة أو محدّدة منطقياً يمكنها قياسه.أمّا الزّمن الطبيعي الخارجي فمن خلاله يحاول الرّوائي تحديد اتجاه القراءة لدى المتلقي ليفهم الحوادث ، ويفسّر الرّموز، والدّلالات في ضوء هذا الاتجاه.

الكلمات المفتاحية : الزمن– الزمن الطبيعي/ التاريخي– الزمن النفسي/ الذاتي.

*أستاذ دكتور في قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة تشرين، اللاذقية ، سورية.

** طالبة دكتوراه في كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة تشرين ، اللاذقية ، سورية.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (٦) العدد (٢) ٢٠٢٢
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (٦) No. (٢) 2022

The time in the contemporary Syrian novels«Collette AL khoury – Ghada AL Samman – Anisa Abood» as a model

***Dr Farouk Maghrebi**
****Basema Al-Ali**

(Received 16/12 /2021. Accepted 28/2/2022)

□ ABSTRACT□

Time represents one essential part in the construction of novel. For, One cannot visualize any incident in the novel outside time because it has quite an impact upon the other parts and it negatively affects them. Via time, the novelist tries to convince us of the realism of these incidents and relations he is narrating. So, we find contemporary Syrian novels pointing at time throughout their novels. The conclusion will be that psychological time is represented in all of the character's traits; memories, internal monologues and its streams of consciousness. There are no stable or specific criteria according to which this time can be measured, logically speaking . On the other hand , natural external time is there in an attempt by the narrator tries to indicate reader stream in reading to comprehense the actions and interpret the symbols semantics in the light of the stream.

Key words: Time, Natural/ Historic – Time, Psychological/ Personal.

*Teacher at the Arabic Department, Tishreen University, Lattakia, Syria

**Ph.D. student at the Arabic Department, Tishreen University, Lattakia, Syria

مقدمة:

الإحساس بالزّمن يولد مع الإنسان بالفطرة من خلال تمييزه بين الليل والنّهار. وقد تساءل القديس **أوغسطين** (Augustine)عن ماهيّة الزّمن بقوله « ما هو الزّمن؟ عندما لا يطرح على أحد هذا السؤال، فإنّي أعرف. وعندما يطرح عليّ فإنّي آنذاك لا أعرف شيئاً.»[١] بهذه الصّرخة عبّر القديس **أوغسطين** عن موقفه من الزّمن وصوّر لنا قلق الإنسان و توتره و حيرته تجاه مفهوم الزّمن، فهل الزّمن يتمثّل فينا أم يقع خارج حياتنا؟

إنّ الزّمن يمثّل النّسيج الدّاخلي للوجود، فهو ماثل فيه بحركته اللامرئية المتمثلة بالماضي والحاضر والمستقبل، وهذه الأزمنة يعيشها الإنسان، وتشكّل وجوده منذ لحظة الولادة، وحتى الموت.

ويرتبط الزّمن بالحدث بمعنى أنّه يتحدّد بوقائع حياة الإنسان و ظواهره الطّبيعيّة و حوادثها و ليس العكس، إنّه نسبيّ حسيّ، يتداخل مع الحدث مثله مثل المكان، فمواجهة الإنسان للحدث بصورة مباشرة تجعله يخضع بطريقة أو بأخرى للزّمن، فيبدأ الصّراع معه تبعاً للحالة النّفسيّة و للظروف المحيطة التّي تعيشها الذّات.

أهمية البحث و أهدافه:

تأتي أهمية هذا البحث بوصفه قراءة للبنية الزمانية من خلال مفهوم الزّمان والإطار الزّمني المتمثّل بالزّمن الطبيعي/التّاريخي، والزّمن النّفسي/ الذّاتي. والهدف المأمول من هذه الدراسة هو تسليط الضوء على الفضاء الزمني في بعض الروايات السّورية المعاصرة.

منهجية البحث:

اعتمدت هذه الدراسة على المنهج البنيوي التّكويني؛ لأنه يكشف بناء النّص أياً كانت طبيعته فهو يهتم بالنّص من داخله، ويربط الأثر الفنّيّ بواقعه الاجتماعي.

الدراسات السّابقة:

اعتمد البحث في دراسته على المراجع النّظرية التي تناولت مفهوم الزّمن بشكل عام، فقد أفردت بعض الكتب دراسات خاصة عن الزمن كانت ركيزة أساسية يقوم عليها البحث، ومن هذه الدراسات على سبيل الذكر لا الحصر (تحليل الخطاب الروائي– الزمن –السرد – التبئير)لـ سعيد يقطين ، وَ (الزمن في الرواية العربية) لـ د. مها قصراوي، وَ (طرائق تحليل السرد الأدبي) لـ تودوروف ، وَ (الزمان الدلالي) لـ كريم زكي حسام الدين...إلخ.

(١) يقطين، سعيد: تحليل الخطاب الروائي (الزمن-السرد- التبئير)، المركز الثقافي العربي ،بيروت، ط١ : ١٩٨٩،ص٦١.

مفهوم الزّمن:

«الزّمن والزّمان اسم لقليل الوقت و كثيره، [...] والزّمن والزّمان:العصر، والجمع أزمن وأزمان وأزمنة، [...] و أزمن الشّيء: طال عليه الزّمان» .[١]

والزّمان كما جاء في معجم المصطلحات اللغوية والأدبية: مجموع أوجه النّمو الفكري والاجتماعيّ في حقبة معينة من التّاريخ من شأنها أن تحدّد اتجاه النّمو الفكري والاجتماعيّ اللّاحق. [٢]

وإنّ أبسط الدّلالات التّي يمكن أن يقدّمها الزّمن حسب عبد الملك مرتاض هي المكوث و الإقامة، وهي تحيل إلى معنى « التّراخي والتّباطؤ، أي كأنّ حركة الحياة تتباطأ دورتها لتصدق عليها دلالة الزّمن، التّي تحوّل العدم إلى وجود حيني أو زمني يُسجل لقطة من الحياة في حركتها الدّائمة وديمومتها السّرمدية.» [٣]

و قد لوحظ الاهتمام بالزّمن منذ القديم، وتجلى الخوف منه متمثلاً في الملّاحم اليونانية القديمة والأساطير، لكن الاهتمام به في القرن العشرين بدا أكثر وضوحاً. ويتمثل الزّمن في العمل الرّوائي بوعي الشّخصيّات به، وبحركة الأحداث وتطوّرها، كما يتمثّل أيضاً بالسّرد الذّي يجسّد هذه الأحداث، ويمكن تقسيم الزّمن إلى:

- زمن طبيعي: متجلٍ في تعاقب الفصول الأربعة واللّيل والنّهار، بمعنى آخر لا يوجد مكان لا يمرّ عليه الزّمن.
- الزّمن الدّيني: ويقوم على فكرة تطوير الأديان للزّمن الطّبيعي، فنصّت على أنّه تعاقب أبدي.
- الزّمن العلمي: الذّي وضع المقاييس الدّقيقة للسنة و الشّهر و اليوم و السّاعة و الدّقيقة و الثّانية في أثناء ضبط حركة الزّمن المطلق و الموضوعيّ.
- الزّمن النّفسيّ: ويمثل ثورة الفلاسفة وعلماء النّفس في القرن الثّامن عشر على مفهوم الزّمن الموضوعيّ المطلق، وأشاروا إلى أنّ الإنسان يدرك الزّمن من خلال تتابع الأحداث، لأنّنا لا ندركه بشكل مباشر، وانتقل مفهوم الزّمن إليهم من العالم الخارجي إلى العالم الدّاخلي للإنسان.[٤]

ولأنّ الزّمن كالموت حقٌ على كلّ فرد حيّ فهو يضبط إيقاع حياتنا، وينظّم معيشتنا الخارجيّة، فالزّمن الحقيقي ليس ما تعبّر عنه عقارب السّاعة في دورتها النّمطية التّي تسير على وتيرة واحدة ، بل تتغيّر سرعته تبعاً لانفعالاتنا النّفسيّة، فنكون دائماً إزاء نقطتين أساسيتين، الأولى هي "الآن"/اللحظة الحالية، وأمّا الثّانية فهي شعورنا بجريان الزّمن وتدفقه من الماضي إلى المستقبل.

وبذلك فالإنسان يمتلك أحاسيس متناقضة و متضاربة بحسب معطيات الزّمن الطبيعي أو الزّمن النّفسي.

وبما أنّ الزّمن من أهم العناصر الأساسيّة في بناء الرّواية، فلا يمكن لنا تصوّر حدثٍ روائيٍ خارج الزّمن لأنّه يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها. « فالزّمن شيء مجرد يُجسّد في الرّواية بوساطة سرد الحوادث.»[٥] وهو « زمن تخييلي»[٦] وليس حقيقياً يتمثّل في المدّة التّاريخيّة المتخيلة التّي تجري حوادث الرّواية فيها. فالزّمن الرّوائي« زمن داخلي تخييلي يبتدعه الرّوائي ليوفّر الدّوافع المحرّكة للسّرد كالسّببية و التّتابع و ترتيب الحوادث و التّشويق و الإيقاع و

---

(١) ابن منظور:لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة،ج١٧، دون طبعة وتاريخ – مادة (زمن) .
(٢) يعقوب، أميل:معجم المصطلحات العربية اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين ،بيروت،ط١: ١٩٨٧مادة(زمن) .
(٣) مرتاض، عبد الملك:في نظرية الرّواية بحث في تقنيات السرد(عالم المعرفة) عدد ٢٤٠،المجلس الوطني للثقافة، الكويت ،١٩٩٨، ص ١٧٢ .
(٤) يُنظر: الفيصل، سمر روحي: بناء الرّواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب،دمشق،١٩٩٥،ص ١٥١،١٥٢، ١٥٣، ١٥٤ .
(٥) المرجع السابق ، ص ١٥٩ .
(٦) المرجع نفسه،الصفحة نفسها .

الاستمرار.»[١] فالزّمن الطّبيعي له مقاييسه المعروفة التّي ذكرها البحث مسبقاً، وهذه المقاييس مستمدة من الزّمن الطّبيعي الخارجي، لكنّها في الرّواية غير متطابقة على الرّغم من أنّها تحمل الأسماء نفسها، « فالسّاعة في الرّواية غير السّاعة في العالم الحقيقي الخارجي، وما يجري في يوم روائي لا يشترط جريانه في يوم مماثل من أيام الواقع الخارجي.»[٢]

و الزّمن الذّاتي لا توجد لديه مقاييس محدّدة، فالنّاقد يجب أن يمتلك القدرة على معرفة سرعته وبطئه من خلال اللّغة التّي تعبر عن الحياة الدّاخلية للشخصية، فهو« نتاج حركات أو تجارب الأفراد، وهم فيه مختلفون.»[٣] وبذلك نستطيع القول: إنّ لكلّ شخص زمناً خاصاً يتوقف على حركته وخبرته الذّاتية.

والزّمن يسيل بحركته اللّامرئية بين ثلاثة أبعاد: الماضي و الحاضر و المستقبل، والرّواية تمثّل تيار الزّمن في الحياة، فالشّخصيّات والأحداث تتحرك و تتشكلّ في فضاء زمني، ولا يتم السّرد إلّا من خلال الزّمن، فإذا فقد الحركة تجمّد السّرد عند نقطة لا يمكن أن تستمر، لذلك ينساب الزّمن الرّوائي مرناً يتحرك إلى الأمام، أو يسترجع الماضي، أو يستشرف المستقبل، حسب رؤية الكاتب الفنّيّة لحركة الزّمن، وقدرتها على تغطية حياة الشّخصيّة والحدث حسب سير العمل الرّوائي. لذلك نرى للزّمن أهمية بالغة في صياغة الرّواية العربيّة الحديثة بعدّه عنصراً أساسياً في تشكلّها.[٤]

و **الشكلانيون الرّوس** من أوائل من قاموا بالتنظير لمفهوم الزّمن، بوصفه أساساً في المبنى الحكائي الذّي يتكون من الأحداث نفسها، ولا يقتصر تمثّله فقط في المتن الحكائي الذّي يجعل الأحداث متصلة فيما بينها، إذ يظهر المتن الحكائي كمجموعة من الحوافز المتتابعة بحسب السّبب والنّتيجة، و يتجلى المبنى الحكائي أيضاً كمجموعة من الحوافز لكنها مرتبة بحسب التّتابع الذّي يفرضه العمل، فالعلاقة جدليّة بينهما، وانطلاقاً من نوعية هذه العلاقة يمكن للكاتب أن يقدّم لنا أشكالاً متعددة للتجلي الزّمني كما يظهر من خلال المبنى الحكائي.[٥]

و يقدم ***ميشال بوتور*** **(Michel Butor)** أحد روّاد الرّواية الجديدة في فرنسا، رؤية جديدة لتقسيمات الزّمن الرّوائي، تتجلى في زمن المغامرة، و زمن الكتابة، و زمن القراءة. وكثيراً ما ينعكس زمن الكتابة على زمن المغامرة بوساطة الكاتب، وبذلك يقدّم لنا الكاتب خلاصة نقرؤها في ساعة أو أكثر وتكون أحداثها جرت خلال يومين أو أكثر للقيام بها.[٦]

أمّا ***تودوروف*** **(Todorov)**فنجد نظرته إلى الزّمن متأثّرة بالشّكلانيين الرّوس في تقسيمهم للنّصّ من حيث هو متن حكائي ومبنى حكائي.[٧]

و***جيرار جنيت*** **(Genette)** يشترك مع ***تودوروف*** في تعريفاته وملاحظاته عن العلاقات التّي تربط زمن القصة بزمن الخطاب، لكن ***جنيت*** يستخدم زمن القصة وزمن الحكي « فهناك زمن الشّيء المروي و زمن الحكاية .»[٨] ويربط الزّمنين علاقات ثلاث تتمثل في:

---

(١) قاسم،سيزا: بناء الرّواية،(دراسة مقارنة في ثلاثيّة نجيب محفوظ) دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥،ص ٣٤ .
(٢) الفيصل،سمر روحي:بناء الرّواية العربية السورية ،ص ١٦٠ .
(٣) حسام الدّين، كريم زكي :الزمان الدّلالي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ،ط١، ١٩٩١ ، ص ٤٨ .
(٤) يُنظر: قصراوي، مها:الزّمن في الرّواية العربية ،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١: ٢٠٠٤، ص ٤٢ .
(٥) يُنظر:تحليل الخطاب الروائي، ص ٧٠.
(٦) يُنظر: بوتور، ميشال :بحوث في الرّواية الجديدة ، تر: فريد أنطونيوس ،منشورات عويدات ، بيروت ،ط ٢: ١٩٨٢ ، ص ١٠١- ١٠٢ .
(٧) يُنظر : تودوروف ، تزفيطان : طرائق تحليل السّرد الأدبي (مقولات السّرد الأدبي)، تر: الحسين سحبا ن وَ فؤاد صفا، منشورات اتحاد كتّاب كتّاب المغرب، الرباط ، ط١: ١٩٩٢، ص ٤١ .
(٨) جينيت، جيرار: خطاب الحكاية بحث في المنهج ، تر: محمد معتصم وَ عبد الجليل الأزدي ،وَ عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، الرباط ،ط٢، ١٩٩٧ ، ص ٤٥ .

أ) التّرتيب الزّمني: فاستحالة التّوازي بين زمن الخطاب الأحادي البعد و زمن التّخيل المتعدّد الأبعاد، أدّى إلى خلط زمني يحدث مفارقات زمنية على خط السّرد تتمثل في الاسترجاع والاستباق.

ب) علاقة المدّة وحالاتها: المتمثلة في عملية تسريع السّرد وبطئه من خلال الحذف والقفز الزّمني والحوار.

ج) صلة التّواتر: وتتمثل في عملية التّكرار وما ينتج عنها من عمليات مختلفة .[١]

ومما سبق يتضح لنا: إنّ زمن النّص مرتبط بزمن القراءة / أي زمن مندمج في الحدث، و زمن القصة هو زمن المادة الحكائيّة فكلّ مادة حكائيّة ذات بداية ونهاية، أمّا زمن الخطاب فهو زمن القصة و تمفصلاته.

أمّا الزّمن من رؤية فلسفيّة فقد روت الأساطير اليونانيّة القديمة عن ***كرونوس*** **(Cronus)** إله الزّمن وصوّرته و هو يلتهم أبناءه، و في هذا إشارة إلى استيعاب الزّمن لكلّ الأحداث.[٢]

فالفلسفة اليونانيّة القديمة تراه « جوهراً قائماً متصلاً بالكون ومنفصلاً وخارجاً عن النّفس والأشياء، وفسّرت الزّمن كونه ثابتاً..»[٣]

و لقد حاولت المناهج الفلسفيّة الكشف عن ماهية الزّمان وعلاقته الجدليّة بالإنسان، و ذهب بعض الفلاسفة في تتبعهم لمفهوم الزّمن إلى أنّ: « الحدس السّائد عند الإنسان البدائي عن الزّمن هو إحساسه بالإيقاع أو التّناغم أكثر مما هو تتابع مستمر »[٤]

فقد نقل ***كنت*** **(Kant)** مفهوم الزّمن وفلسفته بعدّه قائماً بذاته خارج النّفس الفردية إلى كونه مرتبطاً بالعقل.[٥]

أمّا ***برجسون*** **(Bergson)** فيذهب في رؤيته للزّمن بوصفه روحاً تحرّك الوجود، كما أنّه اهتم بالزّمن الماضي وعدّه بداية السّلسلة الزّمنيّة.[٦]

وذهب ***سارتر*** **(Sartre)** إلى أنّ الحاضر هو الأساس في تكوين الإنسان، مؤيّداً رأيه: « إنّ الماضي يمكنه أن يسكن الحاضر ، ولكنّه لا يمكن أن يكونه، إنّ الحاضر هو ماضيه.»[٧] فنقطة انطلاق الوجوديّة هي زمانية وجود الإنسان من الولادة إلى الموت، و هذه الزّمانيّة تخضع للكينونة (الحضور و الثبات) و الصيرورة (التغيّر والتحول).

والزّمن الحاضر هو اللحظة الماثلة التّي تشهد خبرة الإنسان وحركته وتحوّله بما يشمل من عناصر الذّاكرة و التّوقع. فالذاكرة روح الماضي والتّوقع روح المستقبل.

أمّا عند ***العرب*** فقد تجلّى الزّمن في شعر شعراء الجاهليين من خلال مشاهد الطّلل التّي دلّت على حيرة الإنسان العربي وعجزه أمام الزّمن وحركته وما يفعله بالدّيار وبأصحابها.

وإنّ الرّؤية لمفهوم النّقّاد العرب عن الزّمن الرّوائي من موقع النّاظر، يجده لا يبتعد كثيراً عن التّصورات الغربية، إذ تنطلق ***سيزا قاسم*** في دراستها لبناء الزّمن الرّوائي من نظرية ***جيرار جنيت*** حول التّرتيب الزّمني ومفارقته على خط السّرد في النّصّ، وفي دراستها لطبيعة الزّمن الرّوائي تقسّمه إلى زمن نفسي أو داخلي و زمن طبيعي أو خارجي. « إن هذين المفهومين يمثلان بُعدي البناء الرّوائي في هيكلّه الزّمني. أما الأول فيمثل الخيوط التّي تُنسج منها لُحمة النّصّ. أما

---

(١) يُنظر: خطاب الحكاية بحث في المنهج، ص ٤٦ .
(٢) يُنظر: لالاند، أندريه :موسوعة لالاند الفلسفية ،المجلد الثالث ، منشورات عويدات ، بيروت ،ط١، ١٩٩٦، ص ١٤٣٣.
(٣) الزّمن في الرواية العربية،ص ١٨ .
(٤) مها قصراوي: الزّمن في الرواية العربية،ص ١٧.
(٥) يُنظر:المرجع نفسه، ص ١٩
(٦) يُنظر:المرجع نفسه ، الصفحة نفسها.
(٧) سارتر، جان بول: الوجود والعدم بحث في الأنطولوجيا الظاهراتية، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، دار الآداب ، بيروت ط١: ١٩٦٦،ص ٢١٠.

الثّاني فيمثل الخطوط العريضة التّي تتبني عليها الرّواية.»[١] وعليه فإنّ الرّواية الحديثة العربيّة، كمثيلتها الغربيّة اتجهت إلى الاهتمام بالزّمن النّفسيّ، فالبشر يعيشون طبقاً لزمنهم الدّاخلي الخاص المختلف عن الزّمن الخارجي المضبوط بالسّاعة و الدّقيقة.

أمّا الناقدة ***يمنى العيد*** في كتابها« ***في معرفة النّصّ*** » فتتجلى رؤيتها للزّمن الرّوائي بعدّه زمناً متخيلاً يختلف في ماهيته عن زمن الواقع الاجتماعيّ المحكي عنه في الرّواية من خلال الشّخصيّات أو الأحداث، و تميّز بين نوعين من الزّمن المتخيل: زمن الوقائع، وهو الزّمن الذّي تحكي عنه الرّواية، إذ « ينفتح في اتجاه الماضي فيروي أحداثاً تاريخيّة أو أحداثاً ذاتيّة للشخصيّة الرّوائيّة، وهو بهذا له صفة الموضوعيّة وله قدرة الإيهام بالحقيقة.»[٢] والآخر: زمن القصّ و هو زمن الحاضر الرّوائي الذّي ينهض فيه السّرد ، و به تبدأ الرّواية و من زمن القصّ تطلّ الشّخصيّات في لحظة الحضور على زمن الوقائع لإضاءة الماضي.[٣]

وتظهر براعة المؤلف في قدرته على نسج الحركة بين الزّمنيين في علاقة جدليّة إذ ينقطع الزّمن الحاضر الرّوائي لينفتح على زمن ماض له، أو ليستشرف المستقبل. ودراسة أي عمل روائي من زاوية الزّمن لا بدّ من أن تعتمد على مفهومي الزّمن الخارجي و الذّاتي.

وتذكر الدكتورة ***مها القصراوي*** أنّ الزّمن مرتبطٌ بالحدث، فالزّمن « في الحقل الدّلالي الذّي تحتفظ به اللّغة العربيّة إلى اليوم هو زمن مندمج في الحدث»[٤] يتحدّد بوقائع حياة الإنسان وظواهر الطبيعة و حوادثها، و بذلك فالزّمن نسبيّ حسّيّ من خلال تداخله مع الحدث. فالشّخصيات و الأحداث تتحرّك في فضاء زمني، فلا يتم السّرد إلا بوجود الزّمن، ففي لحظةٍ ما يسترجع السّارد الماضي أو يستشرف المستقبل لأنّ الرواية ليست ثابتة الكيان والتّشكيل، ويمكن التقاطها بوضوح بل هي: « صيرورة تحوّل، وشكلها في صيرورة، و هدفها غير معروف مسبقاً، فكما أنّ الزّمان في مختلف تجلياته متجدّد ومتحوّل، فإنّ الرّواية التّي هي خطاب الزّمان بامتياز، بنية تلتقط التّحولات، وهي نفسها بنية تحويل.»[٥] فحركة الزّمن المصاحبة للتّحوّل والتّبدّل تكمن في تغيير الأشياء لتنبثق أشكال جديدة على غرار انهيار الأشكال القديمة، كما يسهم في التّعبير عن موقف الشّخصيات الرّوائيّة من العالم، فيكشف عن مستوى وعيها بالوجود الذّاتي و المجتمعي ، ويجسّد أيضاً رؤية الرّاوي.

وقد حاول ***البنيويون*** دراسة الزّمن، إلا أنّهم ميّزوا بين زمن الحكاية و زمن الحكي، فتحدثوا عن زمن الكتابة، و زمن القراءة في حين الزّمن الذّي استحوذ على اهتمامهم هو زمن المغامرة، أو العصر الذّي وقعت فيه الحكاية التّي تحكي لأنه:« يستخدم هيكلاً زمنياً معقّداً، يتمّ التّعبير عنه بوساطة تقنيات هي الاسترجاع و الاستباق و التّواتر و التّزامن و التّراكب»[٦]

ويمكن أن يميّز الباحث نوعين للزّمن في الرّواية:

الزّمن الطبيعي أو الخارجي:

وله نوعان تاريخي وكوني، أمّا **التّاريخي** فهو ما تتميّز به بنية الرّواية التّقليدية التّي يجيء فيها الزّمن متسلسلاً تسلسلاً منطقياً ذا بداية و وسط و نهاية، « إنّ الهدف الجمالي، من التّحديد الدّقيق للزمن

(١) بناء الرّواية ،ص ٦٣ .
(٢) العيد ، يمنى: في معرفة النّصّ ،دار الأفق الجديدة ، بيروت ،ط١، ١٩٨٣ ، ص ٢٢٧ .
(٣) يُنظر: في معرفة النص ، ص ٢٢٨ .
(٤) الزّمن في الرواية العربية،ص ١٢.
(٥) برادة، محمد:أسئلة الرواية .أسئلة النقد،الرابطة ، الدار البيضاء ،ط١: ١٩٩٦،ص ٦١.
(٦) د. أحمد، مرشد:البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط١، ٢٠٠٥،ص ٢٣٤.

الطبيعي داخل الرّواية هو تحديد اتجاه القراءة لدى القارئ، ليفهم الحوادث، و يفسّر الرّموز، و الدّلالات في ضوء هذا الاتجاه.»[١]

و من بعض جوانب الزّمن التّاريخي الحرص على التّعاقب والحركة الخطيّة، وتأريخ الرّواية بالفصول والأيام والشّهور والسّنوات لذلك يشكّل الزّمن التّاريخي الخطوط العريضة التّي تُبنى عليها الرّواية، ومقاييس هذا الزّمن « مستمدة من الزّمن الطبيعي الخارجي ، ولكنها غير متطابقة معه على الرّغم من أنّها تحمل أسماءه.»[٢]

ومن خلال هذا الزّمن يحاول الرّاوي إيهامنا بواقعية ما يرويه من أحداث وعلاقات روائيّة لذلك نجد أنّ "***غادة السمان***" قد أشارت إلى الزّمن من خلال روايتي **(بيروت ٧٥)** أي بيروت عام ١٩٧٥، و **(ليلة المليار)**، وأيضاً في رواية **(أيام معه)** لـ ***كوليت خوري***" فالزّمن يمنح الرّواية طابع المصداقية لأنّه يجعل عوالمها قريبة من الحقيقة، وهذا ما يسميه ***رولان بارت*** **(Part)** : الإيهام بما هو حقيقي.[٣]

وتظهر براعة المؤلف في قدرته على نسج الحركة بين الزّمنيين في علاقة جدلية إذ ينقطع الزّمن الحاضر الرّوائي لينفتح على زمن ماض له، أو ليستشرف المستقبل. ودراسة أي عمل روائي من زاوية الزّمن لا بدّ وأن تعتمد على مفهومي الزّمن الخارجي والذّاتي.

وتسعى الدّراسة في هذا المبحث إلى رصد تحركات الزّمن وتأثيره على حركة الذّات انطلاقاً من إنّه المركز الذّي تدور الشّخصيّة في فلكه. وبعض الرّوائيين يلجأ إلى التّصريح بالزّمن الخارجي للرواية، فـ ***غادة السّمّان*** في أغلب رواياتها تصرح بالزّمن الخارجي، وهذا ما نجده في رواية **بيروت ٧٥** فقد ذكرت في آخر صفحة من الرّواية إنّها « *بدأت كتابتها ٩ تشرين الأول ١٩٧٤ – تمت كتابتها كمسودة يوم ٢٣ تشرين الأول ١٩٧٤ السّاعة ١١:١٥ – تمت كلّ التّعديلات وتوقف العمل فيها يوم ٢٢ تشرين الثّاني ١٩٧٤ السّاعة ٣٠ :١* »[٤] ونجد أنّها حدّدت الزّمن الخارجي في روايتيها **كوابيس بيروت، وليلة المليار** ، فقد أشارت في **كوابيس بيروت** إلى إنّها « *بدأت كتابتها ليل ١٣ تشرين الثّاني ١٩٧٥ ، وتمت كتابتها في ٢٧ شباط ١٩٧٦ .*»[٥] أمّا **ليلة المليار** فتنص صراحة على أنّ زمنها بدأ في أثناء الاجتياح الإسرائيلي الإسرائيلي للبنان وقبل حصار بيروت أي في السّابع من حزيران ***١٩٨٢*** « ولكنّه لا يتحرّك الآن في بيته المسكون.. ولا في عتمة السّجون..إنّه يقود سيارته المهلهلة في الدرب إلى المطار، في وضح النّهار، وضح السّاعة العاشرة، ذات يوم اثنين صيفي، وضح القصف،وضح شمس السّابع من حزيران عام١٩٨٢ ، وضح الذّعر والهرب».[٦]

ويمكن أن نفهم هيمنة بعض الأفكار على النّفس العام للرّواية كالحرب مثلاً، من خلال معرفتنا للزّمن الخارجي للروايات الثّلاثة. ففي **بيروت ٧٥** يبدأ الزّمن الخارجي « *الشّمس شرسة ملتهبة وكلّ ما في ذلك الشّارع الدّمشقي كان ينزف عرقاً ويلهث.*»[٧] فالزّمن الخارجي لا يظهر بدقة ونستطيع الاستدلال بأنّ زمن البداية كان وقت الظّهيرة فهو يوم شديد الحرارة ولا بد أن يكون يوماً من أيام شهر أيلول لأنّه ذُكر في أكثر من موضع في الرّواية، وبذلك يكون الزّمن الخارجي للرواية الممثل بشهر أيلول يمثل فترة مرحلية واقعة بين نهاية الصّيف وبداية الخريف، « *شمس أيلول السّرية التّي تلسع حتى حينما تكمن عبر غيمة.*»[٨] ونرى أنّه بالإمكان تحديد الفصل الذّي تقع فيه أحداث الرّواية في بدايتها،

(١) بناء الرواية العربية السورية، ص ١٨٠.
(٢) نفسه، ص ١٦٤.
(٣) بناء الرواية، ص ٢٦.
(٤) السمان، غادة: بيروت ٧٥ ، منشورات غادة السمان،ط١: ١٩٧٥ ، ص ١٠٨ .
(٥) السمان، غادة: كوابيس بيروت، دار الآداب، بيروت، ط١: ١٩٧٦ ، ص ٦ .
(٦) السمان، غادة: ليلة المليار،منشورات غادة السمان، ط٢: ١٩٩١.ص ٩.
(٧) بيروت ٧٥ ،ص ٥.
(٨) نفسه، ص ١٣ .

فهل بإمكاننا أن نحدد الوقت الذّي تنتهي فيه؟ ونستطيع أن نحدّد فصل الشّتاء كنهاية لها، وما يؤكد ذلك إشارة وردت في نهاية الرّواية « *بردٌ يخترقني حتى قاع عظامي، وهذا الشّتاء الطّويل لن ينتهي أبداً، أبداً.*»[١] وفي الرّواية أيضاً إشارة إلى حرب تشرين التّحريرية من خلال تقنية الاسترجاع التّي قدمها كلّ من ***فرح*** و***ياسمينة*** عند سماعهما صوت تحليق الطّائرات الإسرائيلية في السّماء اللّبنانية، تقول ***ياسمينة***: « *وتذكرت كيف كانت تمطر طائراتهم موتاً فوق دمشق منذ أقل من عام.*»[٢] و***فرح*** قد « *اجتاحه الدّوار إذ تذكر ما حدث له في دمشق حين حلّقت الطّائرات نفسها منذ أقل من عام.*»[٣]

أما رواية **كوابيس بيروت** فتصرح الكاتبة ضمن طياتها، بأنّ زمنها الخارجي لا يتجاوز أياماً؛ ففي الصّفحة الثّامنة تقول: « *لم أكن أدري أنّها المرة الأخيرة التّي سأغادر فيها بيتي إلى ما بعد أيام طويلة.*»[٤] وممّا يؤكد أنّ زمن الرّواية لا يتجاوز أياماً عدة قول البطلة في موضع آخر من الرّواية « *هذا هو يومي الثّاني وأنا سجينة.*»[٥] وقولها أيضاً: « *ها أنا أشرف على نهاية اليوم الثّالث ولم يقرع بابي مخلوق.*»[٦] وبعد تمكن البطلة من مغادرة بيتها تقول: « *غادرني خوفي وحذري وخرجت من خلف عارضة الباب الحجرية إلى رصيف الشّارع لأول مرة منذ عشرة أيام على الأقل.*»[٧]

والرّوائية في **أيام معه** عُنيت بتسليط الضوء على فضاء زماني و مكاني بالغ الحساسيّة هو دمشق أواخر الخمسينيات، مدينة تعكس الواقع الاجتماعي، فهي موزاييك من أشخاص ورؤى، و تمنيات و إحباطات. « كم من مرة ابتسمتُ حزينةً للقمر، وناجيته، لأنّه يسهر كلّ ليلة وحيداً ..مثلي أنا.. وكنتُ استقبل أشعة شمس كلّ يوم جديد بنظرة يائسة، لعلمي أنّ هذا اليوم سيكون أشدّ فراغاً من الذي سبقه»[٨] ففي المقبوس السّابق تكثر الدّلالات الزّمنية من خلال حضور الحزن والوحدة واليأس. ومن خلال وعي الشّخصية المحورية استطاعت أن تقنع المتلقي بصدق الحياة التي تصوّرها فقد عكست واقع دمشق والشّخصيات التي تعيش ضمنه « و مرت سبعة شهور، وبدد العمل بعض مللي، وبلوّر شخصيتي، لكنّه لم يملأ فراغي..فراغ حياتي. وفي يوم غائم من أيام نيسان الماضي..»[٩] فالساردة تستخدم قرائن زمنية تحدّد للمتلقي الخارجي وفق علاقته بمستوى القص الأول، فقد تأتي هذه الإشارات محدّدة بالسّنة أو الشّهر أو اليوم، أو الصباح..« أيام و أيام قبلها مرّت، وسنون طواها الدهر وغابت، وذكريات حزينة نامت في حنايا النّسيان..كلّها تنبعث الآن من ذاكرتي..أعود إلى السّنة التي تركتُ فيها المدرسة بعد أن حصلتُ على شهادة البكالوريا وكنت في السّابعة عشرة»[١٠] كانت هذه الأوقات أكثر ارتباطاً بالشخصية مواكبةً الحالة النّفسية لها، وبهذا تصبح لهذه التّواريخ قدرة الإيحاء أو الإيهام بأنّ عالم الرواية و ما يدور فيه من أحداث عالم حقيقي، وليس عالماً متخيلاً. والزّمن يساعد ***ريم*** في التّحرّر من الضغط الاجتماعي والأعراف التقليدية معاً إلى درجة أنّ الرواية تنتهي مع ***ريم*** ، وهي تحقق نفسها الكامنة ، وتصبح مسيطرة تماماً على حياتها وقدرها، وقرب النّهاية تقول لنفسها: «إنّ زياد اليوم كما تمنيته دائماً أن يكون، أما أنا فكما كان يجب

(١) بيروت ٧٥، ص ١٠٧.
(٢) نفسه ، ص ١٦ .
(٣) نفسه ، ص ١٨ .
(٤) كوابيس بيروت ، ص ٨ .
(٥) نفسه ، ص ٢١ .
(٦) نفسه ، ص ٦٩ .
(٧) نفسه ، ص ٣٢٠ .
(٨) الخوري، كوليت: أيام معه،الفارسة، دمشق، ط٧: ٢٠٠١ ،ص ٢٢.
(٩) نفسه، ص ٣٠.
(١٠) نفسه، ص ١٥.

أن أكون.. نجح شعري و فنّي، في إيقاظي على عالم الواقع.. أصبح هو الإنسان المتدفّق شعوره، وصرت أنا، المرأة الواقعية التي لا تؤمن بالعاطفة! يا للسخرية!».[١]

أمّا في **رواية النعنع البري** فقد سعت الرّوائية إلى استخدام الحوادث التّاريخيّة الحقيقيّة خلفيةً للرواية ليزيد من نسبة إيهام القارئ بالحقيقة الرّوائية المعروضة فيها، والمراد بالحوادث الحقيقة هنا ذكره للثورة السّورية ضد الفرنسيين، و لنكسة حزيران عام ١٩٦٧. « فتحتُ المذياع. كانت الأخبار مزعجة. قتل، تدمير، حرائق. تفجير سيارات و إدارات. . منذ حرب حزيران حتى الآن لم نسمع إلا هذه الأخبار. الكرة الأرضية تحترق، تتدحرج نحو الهاوية».[٢]

ومن هنا ترتبط الحقيقة التّاريخية بالحقيقة المتخيلة في الرّواية، لتصبحا عالماً جديداً يبدع الكاتب جزئياته ومكوّناته بطريقة فنّيّة و جماليّة تجعل الرّواية انزياحاً عن الواقع يعتمد عليه؛ لكن لا يطابقه ماديّاً ولا يحاكيه بل يفارقه.[٣] يفارقه.[٣]

وفي الرّواية نفسها أشارت الكاتبة إلى مفاوضات السّلام بين السّلطة الفلسطينية والعدو الصهيوني الذي اغتصب الأرض، وشرّد وقتل وشرذم، هذا العدو الذي يريد السّلام، فهل السّلام يجعل الجراح القديمة تندمل؟ لن تندمل الجراح القديمة إلا باستعادة الأرض الفلسطينية كلّها، ففلسطين هي الجرح النّازف في كلّ جسد عربي« كيف تمدّ فلسطينية يدها لتصافح قاتل زوجها؟ أو قاتل ابنها؟! الأرض؟! يا للأرض. الوطن.. ولكن ألا ترى أنّ الإنسان هو الذي يصنع الوطن؟! ماذا يفعل رجل عجوز بمنزل يعود إليه في غزة وقد خلا من أبنائه وزوجته. أسرٌ بكاملها طُردت من منازلها ولم تعد إليها بعد».[٤]

الزّمن الكوني : هو إيقاع الزّمن في الطبيعة من خلال تدوين الزّمن الطّبيعي بفصول السّنة أكثر من تدوينه بالأيام والشّهور.[٥] فالقارئ لرواية **أيام معه** لا تفوته ملاحظة أنّ أحداث الرّواية تدور في فصل الرّبيع

إذ تشير في نهاية الرّواية إلى الرّبيع وتظهر قلقلها الدّائم منه « لماذا أكره الرّبيع؟ أنا ما زلتُ في ربيع عمري..هل أظلّ أكرهه حين يخطُّ الشّيب شعري؟ لماذا أكرهه؟ ألأنّه يعود كلّ سنة، وأنا عابرة؟ ألأنه خالدٌ، و أنا أسير نحو الفناء؟ أم لأنه يوقظ في كياني جوعاً إلى الحياة ، ولا أجد في الحياة ما يسدّ جوعي؟.. أنا أكره الرّبيع لأنّه يذكرني بحدود حياتي».[٦] وكأنّ الرّبيع هو أكثر الأوقات ارتباطاً بالشخصية الرّوائية من الأيام والشهور فقد جعلت من مظاهر الطبيعة تواكب حالتها النّفسية؛ إذ تقول في مكان آخر من الرّواية « و أهلّ شهر كانون، ينذر بزحف الشّتاء إلى سمائنا.. و إلى قلبي..»[٧] فقدوم الشّتاء ارتبط بما ستؤول إليه حال الطّبيعة و أحداث الرّواية ومدى تأثيره على الحالة النّفسية للشخصية التي تعي تماماً حالة الاحتضار التي تعيشها.

وفي رواية **النعنع البري** تحدّد الرّوائية الزّمن الخارجي لأحداثها وهو فصل الخريف الذي يمثّل حالة احتضار للطبيعة، وما ستؤول إليه في الشّتاء « عندما بدأت الرّياح الخريفيّة تعبث بالستائر، عرفتُ أنّ الأوراق التي كانت في الرّبيع خضراء ستسقط الآن على الأرض.. وستلفعني تلك النّسمة الباردة التي تشعل في أعماقي أحطاب الذّكريات والكآبة اللذيذة.. هذا المطر الخريفي ينشر رائحة التّراب المبلول بالماء والتّعب..إنّها رائحة بداية مجهولة ..ونهاية صيف

---

(١) نفسه، ص ٣٥٩.
(٢) عبود، أنيسة: النعنع البري،دار الحوار للنشر، اللاذقية، ط١: ١٩٩٧ ، ص ٣١.
(٣) يُنظر: موسى ،إبراهيم نمر: جماليات التشكل الزماني والمكاني لرواية الخوف للكاتب عزت الغزاوي، مجلة فصول، عدد خاص عن دراسة الرواية ، مج ١٢٠، عدد٢،١٩٩٣، ص ٣٠٩.
(٤) النعنع البري، ص ١٨٦.
(٥) يُنظر: الرواية العربية البناء والرؤية، ص ١٢٨.
(٦) أيام معه، ص ٣٧٤،٣٧٣.
(٧) نفسه، ص ١٨٣.

وذكريات كثيرة..هذا الخريف الذي يضعنا على حافة بداية ونهاية».[١] فتحديد الزّمن الكوني هنا رصد حركة الحدث الخارجي في الرّواية وما عليه من تداعيات نفسية تعبّر عن مجرى وعي الشّخصية.

الزّمن النّفسي / الذّاتي:

تتميّز روايات تيّار الوعي الحديثة، بتكسير تعاقبيّة/ تسلسل الزّمن السّردي بشكل غير منطقي و غير منظّم تاريخياً، فالزّمن فيها ينهمر عبر فيضان الذّاكرة و التّداعي الحرّ و المونولوج الدّاخلي و الخيال و الحلم، يُضاف إلى ذلك أنّه زمن يصعب قياس مدّته المعلومة، فقد يطول أو يقصر بحسب الحالة النّفسيّة التّي تكونها الشّخصيّة الرّوائيّة.

وقد تجلى الزّمن الذّاتي في رواية **بيروت ٧٥** مظهراً سيطرته على الشّخصيّات، مثقلاً كاهلها بالهموم. فقد حضرت ثنائية اللّيل والنّهار مسيطرةً على بنية الزّمن في نص الرّواية، إذ تُفتتح الرّواية بذكر الشّمس وتنتهي بطلوع الفجر، والشّخصيّة بين هذين القطبين تُخفق، وتُقتل، وتقتل، وتموت، وتجن. وقد اقترن نور الشّمس بالحلم والشّهرة وتحقيق الذّات، والسّعادة بالحرية المكتشفة، واقترن غيابها ببدء مناطق التّوتر ممّا أضفى الضّيق والانقباض والحزن والتّشاؤم. تقول ***ياسمينة***: « *قد كان الطّقس جميلاً ومشمساً، فخرجت بعد الظّهر تتمشى علّها تجد ذاتها.*»[٢] ارتبط ذكر اللّيل في الرّواية نفسها بظروف طبيعية قاسية، اختلط فيها المطر بالبرق والبرد الشّديد، ممّا يؤكد سطوة الزّمن على الشّخصيّات، فتذعن لأوامره القاسية « *وانفجر الرّعد، وانفجر الخوف في قلبه.. تمطر تمطر...حتام يستطيع قلبي احتواء كلّ هذا* العذاب بصمت *قبل أن ينفجر؟*»[٣] وقد اقترن ظهور شخصيات ***طعّان*** و***أبو مصطفى*** و***أبو الملّا*** بالظّلمة والبرق والمطر، فلا نصادف ***طعّان*** إلّا في اللّيل متّسماً بالقلق والتّوتر واللّهاث وراء الأمان الذّي ينشده، فتظهر الشّخصيّة عاجزة تجاه زمنها الحاضر، وقضيتها الخاصة العامة التّي لا تعرف عنها شيئاً سوى أنّها حكمت عليها بالموت ثأراً « *هنالك من سيقتلني. هنالك رصاصة تم إطلاقها حين اتخذوا في الجرود قراراً بقتلي أخذاً للثأر، ولم يبق إلّا أن تستقر الرّصاصة في جسدي. ترى أين ستستقر الرّصاصة التّي ستطلق عليّ حتماً في ليلة ما؟! في دماغي؟ في صدري في القلب تماماً...*»[٤] ومن خلال تداعيات الشّخصيّة في الكلّام السّابق نرى ***طعّان*** شخصية غير قادرة على المصالحة مع حاضرها، لاتستوعب ما يجري. فينتهي مصيرها قاتلةً ثم مقتولةً في ظلمة اللّيل.

ويقترن ظهور ***أبو مصطفى*** في الرّواية بالظّلام سواء أكان في كوخه أم في البحر، و***أبو الملّا*** يسرق التّمثال ليلاً ويموت في اللّيلة نفسها التّي ظنّها بداية تحقيق الحلم بالثّراء« *كانت السّماء سقفاً صلداً من السّواد الدّامس ولم تلتمع في الثّقب نجمة. وبدأ المطر يدلف عبره، ونقاطه تسقط فوق جثة الأب... بالضّبط فوق القلب تماماً، نقطة نقطة كنزف اللّيل.*»[٥]

ويرى ***عبد العزيز شبيل*** أنّ ***غادة السّمّان*** قد قسمت الفصول تبعاً لعناصر الطّبيعة « *فالشّمش تعني تحقيق الحلم، والفجر والنّهار يرمزان إلى الأمل في تحقيق هذا الحلم. أما العشية واللّيل، فيشيران إلى الإحباط واليأس من تحقيق الهدف المنشود. أما بالنّسبة للرعد، فقد اقترن دائماً بالرّمز إلى بداية السّقوط، والمطر يرادف*

(١) النعنع البري، ص ٣٣٢.
(٢) بيروت ٧٥ ، ص ٨٥ .
(٣) نفسه، ص ٥٩ ، ٧١ .
(٤) بيروت ٧٥ ، ص ٥٩ .
(٥) نفسه ،ص ٧٠ .

في الرّواية تكريس الفشل لمحاولة البطل وتجسيد نهايته المأساويّة.»[1] فقد رأينا كيف ارتبط خروج ***فرح*** و***ياسمينة*** من دمشق بظهور الشّمس، واكتشافها لجسدها في أثناء ظهور الشّمس، وارتبط خوفها وعجزها في اللّيل والظّلام وكذلك باقي الشّخصيّات. لكن الكاتبة لا تريد للزّمن المأساوي أن يفرض هيمنته على كلّ الرّواية فتقرر أن تنهي روايتها بحلم يتمثل بطلوع الفجر وكأنّه بارقة أمل تسطع فوق بيروت التّي أثقلها الزّمن بتقلباته، محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه، يقول ***فرح***: « *أطلت بيروت في الفجر مثل أحشاء وحش جهنمي يتأهب للانقضاض.*»[2] وبذلك نرى أنّ شخصيات الرّواية كانت ترزح تحت وطأة الزّمن الذّي جعلها في حالة ضياع وتشتت، إذ لم ينجُ من الضّياع الزّمني إلّا شخصية ***مصطفى*** لأنّها تعيش خارج الزّمان الذّي لم يستطع فرض هيمنته عليها، يقول:« *أنا خارج الزّمان، مرمياً فوق شباك الصّيد امتطيها كما لو كانت صاروخاً يطير بي عبر العصور، عبر المحيط لأزداد التّقاطاً لشارات أكثر من عصر وجيل ومكان، ومن الحقيقة المنسية في أعماقي.*»[3] ***مصطفى*** لم يخضع للزّمن بل تحرّر منه، معلناً العصيان عليه، داحراً طغيانه من كلّ العصور والأجيال والأمكنة من خلال دحر طغيانه من أعماقه أولاً، وعندما يسأله أحد الصّيادين كم السّاعة؟ يجيب:« *هنا لا زمان، لا عصر، لاكوكباً محدداً. من الممكن أن يكون تاريخ هذا المشهد قبل التّاريخ أو بعد ألف عام هكذا كان البحر والسّماء أبداً. وهكذا سيظلان الأنشودة نفسها، الزّمن ذاته.*»[4] فالبحر والسّماء معادل موضوعيّ للوجود المطلق غير المحكوم بزمان محدد، وحسب رؤية الشّخصيّة يتلاشى التّحديد للزمان، ممّا يؤدي إلى ذوبانه التّام بذوبان حدوده وفواصله، فيتحطم بمفهومه الدّقيق المتعارف عليه بين النّاس.

لذلك وجدنا أنّ ***مصطفى*** هو النّاجي الوحيد من النّهايات المأساويّة في الرّواية، ومن خلال شخصية ***مصطفى*** وآرائه نلمح سطوة النّفس الوجودي الذّي يحكي قصة الإنسان وصراعه مع الكون. يقول: « *هذه كلّها إشارات كونيّة تروي أنشودة الصّراع من أجل البقاء، أنشودة حزينة أزليّة مذهلة مليئة بالعنف والحنان والشّراسة.*»[5] مجسّدةً معاناة الإنسان وصراعه من أجل البقاء، ورسّخ أزمة الزّمن الأزليّة من خلال معاناة الإنسان وتهشمه. وفي غير موضع من الرّواية يقول ***مصطفى***: « *ما الفرق؟ إنّه سمكة أخرى في هذا البحر الأزلي الشّاسع. إنّه فرد منها، سمكة أخرى في بحر الوجود.*»[6] ويرتفع الصّوت الوجودي ليصور معاناة البشرية في هذا الوجود، فهذه النّظرة الكونيّة ينتفي معها الزّمن بأبعاده الثّلاثة الماضي والحاضر والمستقبل.

ويمتزج الزّمن االذّاتي مع الزّمن التّاريخي في **الرّواية المستحيلة**، إذ تعنى الكاتبة بتقديم زمن خاص يوقظ ذاكرة الشّخصيّة فيتماهى صوتها مع صوت المؤلفة، فنعيش زمناً ذاتياً يمتد إلى نحو ستة عشر عاماً جعلته الكاتبة جزءاً من زمن حفل بأحداث تاريخية مصيرية امتدت من استقلال سورية عام ***١٩٤٦*** إلى عام ***١٩٥٦*** في أثناء تأميم قناة السّويس، ومن خلال السّيرة الذّاتية التّي قدمتها ***غادة*** في **الرّواية المستحيلة** سلّطت الأضواء على فترة زمنية حرجة على سورية عايشتها الكاتبة منذ جلاء المستعمر الفرنسي وانتهاءً بالانقلابات العسكرية، كما عايشت أحداثاً تتصل بالوطن العربي كنكبة فلسطين عام ***١٩٤٨***، وثورة تموز في مصر عام ***١٩٥٢***.

والزّمن اللّيلي يضفي دلالاته المأساويّة على هذه الرّواية أيضاً، فولادة ***زين*** التّي سببت لوالدها الحزن واليأس كانت ليلاً، وموت زوجته هند مع ابنيه كان ليلاً، لكنّ الحالة النّفسيّة لـ***أمجد الخيّال*** لا تميز بين ليل أو فجر على العكس ممّا

(1) الفن الرّوائي عند غادة السّمّان ، ص ٩٦ .
(2) بيروت ٧٥ ، ص ١٠٨ .
(3) نفسه، ص ٣١ .
(4) بيروت ٧٥ – ص ٣٢ .
(5) نفسه، ص ٣٠ .
(6) نفسه، ص ٣٢ .

وجدناه عند شخصية ***فرح*** الذّي مثّل له الفجر بارقة أمل. يقول: « *كان اللّيل، بل الفجر... ما الفرق؟ الأوقات كلّها صالحة دائماً للقلق والانتظار على حافة الموت. جلست مصلوباً على المقعد الجلدي... ساعات وأنا بانتظار الحكم: بنت أم صبي...*»[١] ممّا سبق نجد أنّ أبعاد الزّمان قد انهارت عند ***أمجد الختّال*** إذ بدت الأوقات كلّها سيفاً مسلطاً على رأسه ليقتله ضجراً وقلقاً وانتظاراً. فالشّخصيّة ترتبط « مع الزّمن بعلاقة جدلية»[٢] يتأثر كلّ منهما بوجود الآخر، والشّعور بمرور الزّمن سريعاً أو بطيئاً مرتهن بالحالة النّفسيّة للشخصية « فالزّمن الحقيقي هو الزّمن النّفسيّ وليس زمن السّاعة، لأنّ زمن السّاعة ينظم العلاقات الخارجية، في حين يرتبط وجود الإنسان بزمنه النّفسيّ.»[٣] المرتبط بقيم متغيرة باستمرار وحسب الحالة الشّعورية للإنسان.

وقد ارتبطت رمزيّة اللّيل في الرّواية بالموت والعذاب، يقول ***أمجد الختّال***: « *لا أدري لماذا توهمت دائماً أن النّاس لا يولدون ويتعذبون أو يموتون إلّا ليلاً.*»[٤] فاللّيل الزّمني ومن خلال ما سبق مرتبط بالهم النّفسيّ النّفسيّ الذّاتي للشخصية الرّوائية،« فالزّمن قوة مؤثرة تدخل ضمن التّركيب الدّاخلي للشخصية، وتعمل على اندفاعها، وتغيرها وتحوّلها على الدّوام وعلى هذا فالزّمن لا يؤثر في الشّخصيّة تأثيراً خارجياً، وإنّما يؤثر فيها من خلال حركة الوعي التّي تجعلها تنفعل وتتأثر وتؤثر...»[٥]

فالزّمن النّفسي يرتبط بالشّخصيات ارتباطاً وثيقاً، ويدخل في نسيج حياتها الدّاخلية و يتلوّن بتلوّن حالتها النّفسية، و الشّعورية فيطول أو يقصر تبعاً لتلك الحالة. وتحاول الرّوائية في رواية **أيام معه** من خلال شخصيتي ***ريم*** و ***زياد مصطفى*** المضي في أعماق نفس الإنسان الفنان، وترجمة ما في دواخله من إحباط وانتكاسات أدّت في مجملها إلى تشكيل شخص سلبي « و كانت أقسى ساعات أيامي، ساعات الليل.. فأدخل غرفتي الموحشة، وأرتمي على سريري و أغمض عينيّ رغبة في النّوم والنّسيان، فيرغب النّوم عن عينيّ..».[٦] وفي مكان آخر من من الرّواية يعود الليل بثقله وآلامه، فذكريات الماضي تتداعى إلى ذهنها لتعيدها إنسانةً غارقةً في اليأس منسحبةً من الحياة « لستُ أدري كم من الوقت بقيت على هذه الحالة، وجاء الليل بسواده و هدوئه وعذابه يضمني؛ الليل يضخم دائماً كلّ شيء ، ويطول .. يطول.. على اليائسين؛ و ازدادت حالتي سوءاً.. وزاد في مرضي الجسدي، كرهي لشخصي؛ كرهتُ عاطفتي لأنّها جعلتني رخيصة ؛ كرهتُ ضعفي ، لأنّه أدمى كبريائي و أذلّني.. ومرّ عليّ الليل الأليل ، كانت ثوانيه طويلة، ثقيلة، مرهقة».[٧]

ويتجسد الزّمن النّفسي في كلّ ما يتعلّق بالشخصية بتداعياتها وذكرياتها ومنولوجها الداخلي وتيارات وعيها، وما من مقاييس ثابتة أو محدّدة يمكنها قياس هذا الزّمن؛ ولكن من خلال اللغة نستطيع تبيان العالم الداخلي للشخصية، ومعرفة كنه هذا الزّمن. كقول ***علي*** في رواية **النعنع البري**: « أنتِ هكذا تهربين إلى كلمات باردة و إلى لغة ثقيلة على الصّدر. مفردات اللغة عندما لا نتعارك معها تموت. لم تقدّري لحظة ما أكنّه لكِ. أرجوكِ لا تعيدي الأسطوانة نفسها. لا أؤمن بالحبّ . أو لا أثق بالزمن».[٨] وتعرض لنا الرّواية فترة ما من زمن الحكاية الرّاهن، ثمّ تتوالى الأحداث متقطعة بتقطّع أزمنتها عبر سيرها الهابط من الحاضر إلى الماضي،

---

(١) المصدر السّابق ، ص ١٥ .
(٢) الزمن في الرّواية العربية – ص ١٤٩ .
(٣) نفسه، ص ١٤٩ .
(٤) السمان،غادة: الرّواية المستحيلة(فسيفساء دمشقية) منشورات غادة السمان، بيروت- لبنان،ط١: ١٩٩٧، ص ٢٣ .
(٥) عبد العزيز، سعد – الزمن التّراجيدي في الرّواية المعاصرة – مكتبة الأنجلو المصرية – القاهرة – أكتوبر ١٩٧٠ – ص ٤٢ .
(٦) أيام معه،ص ٢٢.
(٧) نفسه، ص ٢٦١،٢٦٠.
(٨) النعنع البري، ص ١٨.

فالإشكالية التي أرادت الرّوائية أن تضع المتلقي فيها، هي أنّها أرادت التّنبيه إلى عدم اختلاف الوسط الثّقافي عن بقية الأوساط الاجتماعية والسّياسية والدّينية « لم تكن السّنة الجديدة إلاكِ . ولم يكن لأي امرأة القدرة على انتزاعي من عباءة الكآبة و دفعي إلى سهول الإلهام والفرح إلا أنتِ ..مع ذلك .. كان الليل ثقيلاً، والموعد المهزوم ينتصر عليّ، وغيابك ينتصر على ضياعي الطويل الطويل».[1] من خلال ما سبق نرى أنّ ***علياً*** يساوره القلق و الخوف من انتظار زمان ربما لن يأتي، فقد أصبح الانتظار هاجسه لتحقيق ما حلم به و تخيله، إنه الانتظار الذّي يرافقه العمل، ويصاحبه الأمل بواقع أفضل، فيتضح بذلك الدّور الذّي يؤديه الزّمن في حياة هذه الشّخصيّة واقعاً وخيالاً. ونلمح هذا المعنى أيضاً من خلال قوله: « كنتُ أبحث عن زمن أستند عليه».[2] فالشخصية ترزح تحت وطأة الزمن الذي يبدو عبئاً ثقيلاً فوق صدرها، مقدمةً صورة حقيقية عن أزمة الإنسان في الزّمن.

الخاتمة:

ظهر لنا في نهاية هذه الدّراسة أهمية الزّمن بوصفه محوراً أساسياً في تشكيل بنية النّص الرّوائي، وتجسيد أبعاده التّاريخية والاجتماعيّة والسّياسيّة والنّفسيّة، فمن خلال أنواع الزّمن ينطلق الرّوائي للتعبير عن رؤيته الفكريّة والجماليّة. ولم يقتصر الاهتمام بالزّمن على العصر الحديث، وإنما برز هاجس الزّمن في الآداب القديمة والأساطير، ولعلّ الاهتمام به في القرن العشرين كان الأكثر بروزاً، نتيجة إيقاع الحياة السّريع. كما كشفت الدّراسة عن عمق العلاقة بين الزّمن الطّبيعي /التّاريخي، والزّمن النّفسي /الذّاتي في بعض الروايات السورية المعاصرة ، ووجهة نظر الرّوائي في التّعبير عن واقعه وقضاياه ومشاعره، لذلك نجده قد زاوج بين الزّمنين على مستوى الدلالة في الرّوايات المدروسة من خلال التقاء الزّمن الذّاتي للشخصية مع الزّمن الطّبيعي التّاريخي، وهذا ما يسوّغ حياة الشّخصيات المتوترة في الرّوايات ومصائرها الأليمة.

لقد جاء توظيف الرّوائي السّوري للزمن معبّراً عن حالة المجتمع العربي المشتت آنذاك فكان صورة له.

([1]) النعنع البري، ص ١٩.
([2]) نفسه، ص ٣٤.

المصادر:

١) *الخوري*، كوليت: أيام معه، الفارسة، دمشق،ط٧: ٢٠٠١.

٢) *السمان*، غادة: بيروت ٧٥، منشورات غادة السمان،ط١: ١٩٧٥.

: الرّواية المستحيلة(فسيفساء دمشقية) منشورات غادة السمان، بيروت– لبنان،ط١: ١٩٩٧.

: كوابيس بيروت، دار الآداب ، بيروت، ط١: ١٩٧٦.

: ليلة المليار،منشورات غادة السمان، ط٢: ١٩٩١

٣) *عبّود*، أنيسة: النعنع البري ، دار الحوار للنشر، اللاذقية، ط١: ١٩٩٧.

المراجع:

١) د. أحمد: مرشد: *البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصرالله*،المؤسسة العربية للدراسات والنشر،بيروت،ط،٢٠٠٥.

٢) برادة، محمد:*أسئلة الرواية ، أسئلة النقد،الرابطة*، الدار البيضاء ،ط١: ١٩٩٦.

٣) بوتور، ميشال :*بحوث في الرّواية الجديدة* ، تر: فريد أنطونيوس ،منشورات عويدات ، بيروت،ط٢: ١٩٨٢ .

٤) تودوروف ، تزفيطان : *طرائق تحليل السّرد الأدبي (مقولات السّرد الأدبي)*، تر: الحسين سحبا ن وَ فؤاد صفا، منشورات اتحاد كتّاب المغرب، الرباط، ط١: ١٩٩٢ .

٥) جينيت، جيرار: *خطاب الحكاية بحث في المنهج، تر: محمد معتصم وَ عبد الجليل الأزدي وَ عمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، الرباط* ،ط٢، ١٩٩٧.

٦) حسام الدّين، كريم زكي :الزمان الدّلالي ، *مكتبة الأنجلو المصرية* ، القاهرة ،ط١، ١٩٩١.

٧) سارتر، جان بول: *الوجود والعدم(بحث في الأنطولوجيا الظاهراتية)*، ترجمة : عبد الرحمن بدوي ، دار الآداب ، بيروت ط١: ١٩٦٦.

٨) *العيد* ، يمنى: في معرفة النّصّ ،دار الأفق الجديدة ، بيروت ،ط١، ١٩٨٣.

٩) *الفيصل*، سمر روحي: بناء الرّواية العربية السورية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب،دمشق،١٩٩٥.

١٠) *قاسم*،سيزا: بناء الرّواية (دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ)، دار التنوير، بيروت، ١٩٨٥.

١١) *لالاند*، أندريه :موسوعة لالاند الفلسفية ،المجلد الثالث ، منشورات عويدات ، بيروت ،ط١، ١٩٩٦.

١٢) *مرتاض*، عبد الملك:في نظرية الرّواية (عالم المعرفة) عدد ٤٢٠،المجلس الوطني للثقافة، الكويت ،١٩٨٨، ص ١٩٩ .

١٣) *ابن منظور*:لسان العرب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، الدار المصرية للتأليف والترجمة،ج١٧، دون طبعة وتاريخ.

١٤) موسى ،إبراهيم نمر: *جماليات التشكل الزماني والمكاني لرواية الخوف للكاتب عزت الغزاوي*، مجلة فصول، عدد خاص عن دراسة الرواية ، مج ١٢٠، عدد٢، ١٩٩٣.

١٥) يعقوب، أميل:*معجم المصطلحات العربية اللغوية والأدبية، دار العلم للملايين* ،بيروت ، ط١: ،١٩٨٧.

١٦) يقطين، سعيد: *تحليل الخطاب الروائي* (الزمن–السرد– التبئير)، المركز الثقافي العربي ،بيروت، ط١: ١٩٨٩.